مذكرات شاه ايران السابق فى المنفى

Mohammad Reza Pahlavi

# Réponse à l'Histoire

Albin Michel

# وألقى الجنرال هويزر بالملك خارج البلاد

منى رجب

خلال تلك الفترة العصيبة كنت أبحث عن معارضين راسخى الإيمان يريدون الانطلاق فى طريق الحرية التى قررتها ، ويرفضون الفساد الذى لم أنتو الخضوع له . ولما كنت قد قررت عدم الالتجاء إلى القوة . فقد حاولت حل الأزمة بالوسائل الدستورية . تحقيقا للصالح العام . وظننت أن حكومة مدنية تضم أعضاء من المعارضين يمكنها أن تكبح المهيجين ومثيرى الفتن ومن وراءهم ، كى نستأنف أعمالنا . فتوجهت إلى الدكتور صادق عضو اللجنة الوطنية . فأعلن أنه مستعد لتشكيل حكومة ائتلافية دون أى شرط . وطلب أسبوعا للتفكير . لكنه انصياعا لضغوط حزبه . طلب منى فى النهاية تعيين مجلس وصاية مع بقائى فى البلاد . وهو شرط استحال قبوله . لأنه يعنى اعتراف بعجزى عن أداء واجباتى كملك

اما ساجانى وبازرجان فقد قادا بعد عودتهما إلى طهران . الحركة ضد الحكومة . فألقى القبض عليهما . ثم أطلق سراحهما بعد ذلك بتدخل مع رئيس الساقاك ذاته . فقبل ساجانى يدى معلنا بصوت جهورى إخلاصه واستعداده لتشكيل حكومة . على أن أغادر طهران فى إجازة . فهل كان هؤلاء الساسة يدركون أن الدولة على حافة الهاوية ؟ هل كانوا يعلمون أن الأمر لم يعد متعلقا بإنقاذ امتيازات واحتكارات وتفوق حزب فى الانتخابات . إنما المشكلة فناء أو حياة أمة . إن التوضعى الاقتصادية لم تكن أقل خطورة من هياج الشوارع أو الجامعات . فقد تتابعت الاضطرابات . وهبط إنتاج البترول من ٥٫١ مليون برميل إلى ١٫٧ مليون برميل . مما يعنى كارثة اقتصادية لإيران . كما توقف الغاز الموجه إلى الاتحاد السوفيتى . وهو موقف تعلن استمراره . وهنا طلب مقابلتى عضو الجبهة الوطنية شهور بختيار . بواسطة رئيس الساقاك . وكنت قد التقيت به لأول مرة فى حضور أموزجار الذى ترك منصبه السياسى مع بقائه مستشارا لى . فتقرر تشكيل حكومة ائتلافية برئاسته . بعد أن لاحظت هدوءه وتحفظه فى مواقفه . ورافقه إلى قصر نياوران الجنرال مقدم رئيس الساقاك . ودام لقاؤنا عدة ساعات . وأسهب بختيار فى استعراض إخلاصه للملكية . وأوضح فى أنه الوحيد القادر على تأليف حكومة فى الفترة الحرجة التى نجتازها .

وأبدى رغبته فى احترام النصوص الدستورية . وتعيين مجلس وصاية قبل رحيل مباشرة فى إجازة . وضمانة الحصول على أغلبية الأصوات . فوافقت على اقتراحاته . فألف دون صعوبة تذكر . مجلس وزراء مدنيا . وحصل على أغلبية الأصوات فى مجلس النواب .

لكنه لم يتمكن من تحقيق برنامجه الذى أعلنه باستفاضة على مراسل الصحافة العالمية الذين هرعوا إلى طهران . وفى التليفزيون . إذ قرر أصدقاؤه القدامى من الجبهة الوطنية نسفه . ومن الغريب أن هدف المسئولين فى البلاد لم يكن إعادة النظام أو تسيير دفة الاقتصاد القومى . بل مصير الملك . ونصحنى عدد من المقربين بالابتعاد عن إيران لبضعة أسابيع . حتى تهدأ النفوس . بينما عارضنى جيرالدى هذا الحل بشدة . لأن معادرتى ستؤدى إلى انفجار كل شئ

واستطيع الآن أن أقول إننى قد فهمت الألاعيب التى حيكت . والخطط التى نفذت وقت طويل . منذ عامين بالتحديد . أقلقنى سلوك بعض الأمريكيين . لقد كنت واثقا من أن عددا منهم يعارض برنامج التسليح . وأعلنوا على الملأ أن القنبلتين اللتين جاءوا كخبراء ومدربين للأسلحة الحديثة . يصلحون رهائن للاتحاد السوفيتى . مما يعنى بالنسبة إليهم ضرورة البقاء

معاهدة التحالف الثنائية التى تربطنا بالولايات المتحدة . والتى تحتم عليهم مساعدتنا فى حالة هجوم شيوعى أو تحريض شيوعين . ولما أفلتنى نظرتهم للأمور بلغت الحكومة الأمريكية راجيا تحديد موقفها من المعاهدات القائمة . فجاءنى الرد التالى : إن الولايات المتحدة تفى دائما بتعهداتها » . وبعد بضعة شهور قابلت صديقى العظيم نيلسون روكفلر . فسألته :

هل قرر الأمريكيون والسوفيت اقتسام العالم ؟

فأجابنى : بالطبع لا . ثم أضاف : فى حدود علمى على الأقل . وبعد تفاقم الموقف فى سبتمبر ١٩٧٨ جاء إلى سفيرا أمريكا وبريطانيا ليؤكدا تأييدهما لى

## تحذير من البرافدا

انتبهت مرارا لسفير الاتحاد السوفيتى الذى كان يتحدث بذات الحماسة . مؤكدا على التعاون والصداقة السوفيتة . ولكنه سافر فى إجازة . ولم أره بعد عودته إلى طهران . ويبدو أن أحداث إيران قد أقلقت السوفيت بصورة جدية . وجاءنى البرهان فى صورة تحذير واضح فى مقال فى صحيفة البرافدا فى نهاية نوفمبر

يقول المقال : إن الاتحاد السوفيتى الذى يحتفظ بعلاقة حسن الجوار مع إيران . يعلن صراحة أنه ضد أى تدخل فى الشئون الداخلية لإيران . إن كان أخير وأى شكل من الأشكال . إن الاضطرابات داخلية بحتة . والمشاكل المرتبطة بها يجب أن يحلها الإيرانيون بأنفسهم . وعلى كل الدول أن تتبع المبادئ التى حددها ميثاق الأمم المتحدة . وعليها أن تحترم سيادة واستقلال إيران والشعب الإيرانى . ويجب أن يكون واضحا أن كل تدخل وخاصة التدخل العسكرى فى شئون إيران . وهى دولة متاخمة للاتحاد السوفيتى . سوف يعد مساسا بمصالح أمنها .

ثم أعلنت الولايات المتحدة أيضا يوم ٧ ديسمبر . أنها لن تتدخل فى إيران بأية وسيلة . وأعاد سفيرا أمريكا وانجلترا على مسامعى تأييدهما الكامل لنا . كما نقل كل مبعوث أمريكى قدم إلى طهران . نصائح بالاعتدال والتماسك . غير أن تشجيعهم هذا كان يتعارض مع حيثيات ومواقف أخرى عرفتها من آخرين . فقد التقيت بالممثل الجديد للمخابرات الأمريكية فى طهران . ودهشت لثقافة ملحوظاته . فعندما تحدثنا عن الحرية انفرجت أساريره . ولم يتكلم عن الأمن فى هذه المنطقة من العالم .

ثم بعد أن أشعل المتظاهرون النيران فى سفارة انجلترا . قال الملحق العسكرى الإنجليزى لأحد الجنرالات الإيرانيين :

ألم تفهموا بعد أن الخلل هو الخلل السياسى ؟

وبدوره أبلغنى النائب محمد على مسعود فى نهاية ديسمبر . أن جورج لميراكيز سكرتير أول السفارة الأمريكية قد قال له : «سيكون هناك قريبا نظام جديد فى إيران » . ولم تعد تدهشنى المفاجآت المتوالية ممن كنا نعم حلفاء مخلصين

## المهمة السرية للجنرال هويزر

وفى بداية يناير أبلغونى مفاجأة جديدة . فالجنرال هويزر موجود فى طهران منذ عدة أيام . ولم أدهش لكثرة أحداث الشهور الأخيرة . لكن الجنرال هويزر لم يكن بالشخصية الغريبة . فقد كان قائد قوات حلف شمال الأطلنطى . وقد اعتاد قبل أن يجئ إلى إيران أن يتقدم أولا بطلب لمقابلتى . كما كنت أعلم ببرنامج زيارته مسبقا . ولم تكن زيارته لطهران للمجاملة . بل لتنسيق شئون عسكرية دائما . أما فى هذه المرة . فقد تمت زيارته فى سرية تامة . ولما سألت جيرالدى عن سبب الزيارة أجابوا جهلهم بأمرها فلماذا جاء هذا الجنرال الأمريكى إلى إيران ؟ لقد كان وجوده مريبا مخالفا للمألوف . لأن رجلا بنوى قدر مسئولياته لا يغادر إلا لأسباب خطيرة . ولما افتضح وجوده اهتمت الصحف السوفيتية تقول : الجنرال هويزر فى طهران يدبر انقلابا عسكريا . وقد كان هذا بمثابة تحذير رسمى من الكرملين . بينما انحصرت مهمة المسئولين الأمريكيين فى تغيير كلمة « تدبير » بكلمة منع . أى أن الجنرال هويزر ذهب ليمنع انقلابا عسكريا فى إيران .

فهل كان ذلك صحيحا ؟ لا أعتقد ذلك . لأن جنودى منسكون إلى أبعد الحدود بجهدهم للإخلاص للتاج والدستور . ومادام الدستور محرما فلن يخرقوه . لكن يبدو أن أجهزة

وجدنا عددا هائلا من رجال البوليس لحراستنا فى جزر البهاما التى كانت أقصى مراحل المنفى

ولم يتمكن شهور مختبار من تنفيذ مخططه إذ جاء الخميني وأعلنت الجمهورية الاسلامية !

الخابرات الأمريكية كان لديها من قوة الأسباب ما جعلها تشجع أن الدستور قد أسىء تطبيقه . فقد كانوا يهدفون إلى تحييد الجيش الإيراني . وقد وضح أن هذا هو سبب مجيء الجنرال هويزر إلى طهران . ولم أره سوى مرة واحدة برفقة السفير سوليفان . وانحصر اهتمام كليهما فى معرفة يوم وساعة مغادرتى لطهران . وفيما بعد أبلغنى الجنرال غارباغى القائد الأعلى . أن الجنرال هويزر قد عرض عليه أمرا مذهلا . إذ اقترح عليه أن يدبر له لقاء مع بازرجان . أما ماهية القرارات التى اتخذوها . فلم أعلم منها سوى أن الجنرال غارباغى قد استعمل سلطته فى إصدارة الأوامر إلى الجنرالات التابعين له . بعدم الحركة . وقد تم إعدام هؤلاء الجنرالات واحدا تلو الآخر . ولم يفر سوى الجنرال غارباغى من هذا التطهير الدامى . بعد أن انقذه بازرجان .

وقد مكث الجنرال هويزر عدة أيام فى طهران بعد رحيلى . فماذا حدث ؟ كل ما أستطيع قوله أنه فى خضم الخاكيات الثورية . وقبل إعدامه . أعلن الجنرال ربيعى قائد عام الطيران الإيرانى للقضاة . أن الجنرال هويزر قد ألقى بالملك خارج البلاد كطائر ميت .

كان مقدرا أن أسافر ويرفقنى الإمبراطورة . فى أجازة لبضعة أسابيع فور حصول شهور مختبار على موافقة الأغلبية . ومن الغريب أن واشنطون هى التى أعلنت نبأ رحيلى فى مؤتمر صحفى يوم ١١ يناير على لسان سيروس فانس قبل أن يذاع فى طهران .

وقد كانت الأيام الأخيرة مزيجا من القرق والأرق . كما كان يتحتم على الاستمرار فى العمل مع علمى بالقرب ساعة الرحيل . وكان حال وطنى هو شاغل كل لحظة .

ولاأقوى الآن ولاأريد التعبير عن المشاعر التى اجتاحتنى يوم ١٦ يناير ١٩٧٩ . أثناء اجتياز طريق المطار مع الإمبراطورة . كان بداخل قلبى إحساس مشئوم بأن شيئا ما سيحدث . أما ماكنه ؟ سيحدث غدا ؟ . فلقد منعنى كثرة التجارب والمحن فى الفترة الأخيرة من تخيله .

لقد أردت إقناع نفسى بأن رحيل سيهدئ من النفوس . ويخفف من الأحقاد . ويلقى بأسلحة السفاحين . كما تمنيت أن يعاون الحظ شهور مختبار ليستطيع وطنى أن يعيش . رغم الدمار الهائل الذى أملاه بعض مختلى العقول الحاقدين . وعلى أرض مطار مهرباد حيث ترقد الطائرات التى شلتها الإضرابات . سرت نسمة منعشة . وعند سلم الطائرة الوينج التفت الشخصيات الهامة فى الدولة لوداعنا . وعلى رأسهم شهور مختبار ووزراء لحان الديوان ووزراء وجنرالات . ونصحتهم الواحد تلو الآخر بالهدوء والحذر . وتعذر على الإمام جوم الحضور لتلاوة بعض الآيات القرآنية التى اعتاد قراءتها لى قبل كل رحلة . فقصر البعض أسباب تخلفه وفقا لأهوائهم . بينما كان المسكين على فراش المرض . وتوفى بعدها بأسابيع فى جنيف . غير أنى صحبت معى نسخة لا تفارقنى من القرآن الكريم . لقد هزتنى بعنف دلائل الإخلاص التى لقيتها لحظة رحيلى . والتى أطبق فيها صمت رهيب . إلا من حشرجات النحيب . كانت آخر صورة حملتها لحظة مغادرة تلك الأرض التى حكمتها ٣٧ عاما . والتى استطعت أن أعطيها قليلا من دمائى . هى ذلك الفصيل العارم الذى قرأته على الوجوه الدامعة المودعة .

ساعدنى واقع على تشكيل حكومة على أن يغادر الشاه طهران فى إجازة . وقاد الحركة مع بازرجان ضده .

## أسوان : أولى محطات المنفى

كانت أسوان هى أولى محطات المنفى . ولم أفاجأ باستقبال الرئيس السادات وقرينته . لأنى أعلم سجايا روحه . وقد حظينا بكرم ضيافتهما خلال الأيام التى قضيناها معهما . ووجدنا فى المودة والكياسة التى لقيناها منهما نعم العزاء للإمبراطورة وفى ذلك الوقت المبكر الذهاب إلى الولايات المتحدة . حيث كان يوجد أمانى . لكن أقصى الخميع من كل صوب بالعدول عن الذهاب إلى أمريكا . وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة . وعلى أية حال كان الترتيب المتفق عليه هو التوقف فى المغرب . فذهبت واستقبلنى الملك الحسن كأخ . استضافنى فى قصر بساتين مراكش .

وعندما قررت التوجه إلى جزر البهاما فى شهر مايو . أعارنا الملك الحسن طائرة خاصة للرحلة . وفى البهاما بدأت أقسى مراحل المنفى . فالأخبار التى تتابعت من إيران يوما بعد يوم . كانت تحوى مزيدا من قرارات الإعدام المتجددة . واستمرارا للكابوس اللانهائى . أما مقرنا فكان فيلا على شاطئ البحر . يسهل الاقتراب منها . لذلك جندنا عددا هائلا من رجال البوليس الشجعان للسهر على أمننا . أما العراء فى تلك الفترة العصيبة فتلقياه من الساخرين الأثان . وخاصة الفرنسيين . الذين كانوا يلوحون لنا بإشارات التعاطف عند اقترابهم من الشاطئ .

كان متفقا أن جزر البهاما ماهى إلا فترة توقف مؤقتة . حتى يتم الحصول على موافقة دولة أخرى لاستضافتنا لمدة أطول . ولم أدهش عندما علمت أن الدعوة قد جاءتنا من المكسيك . التى ذهبت إليها فى زيارة رسمية منذ أربع سنوات . وقد أسرق استقبالهم الحار . كما أتاحت لى تلك الزيارة التعرف على صفات رجل الدولة التى يتمتع بها الرئيس لوبيزبورتيللو والإعجاب به . كما اكتشفت اتفاق آرائنا فيما يتعلق بمشاكل الطاقة . وصورة العلاقات التى يجب أن تقوم بين الدول الصناعية والدول النامية .

## زيارة نيكسون

فيما بعد ظهرت المراهنين على شجاعة الرئيس بورتيللو وإقدامه فى مواقفه المتعددة فى المؤتمرات الدولية الهامة ممثلا لدولته . وإن عرضه باستضافتنا فى دولته عام ١٩٧٩ قد أكد لى روح الفروسية التى عهدتها فيه . لكن حالتى الصحية لم تمكنى من الذهاب إلى المكسيك . وفى المقابل حظيت بزيارة هنرى كيسنجر ووينشارد نيكسون فى جزر بناما كا .

كنا نتوقع حضور الرئيس نيكسون وقرينته . ولكن منعتها وعكة صحية من الحضور فى آخر لحظة . فحضر الرئيس نيكسون بمفرده . وأمضى معنا يوما كاملا . وأعتقد أن سعادتنا باللقاء كانت مماثلة . فلم تكن علاقتنا قائمة فقط على العطف المتبادل . لكن أيضا لاتفاق وجهة نظرنا فى كثير من الأمور . وخاصة ما يتعلق بالجغرافية السياسية . وقد جاء إلى طهران قبل انتخابه رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية . أثناء جولته حول العالم . كما عاد إلينا مرة أخرى بوصفه رئيسا للولايات المتحدة . ولايوجد من فهم أفضل منه ضرورة وجود حليف قوى ومستقر للغرب فى تلك المنطقة من العالم .

□ □ □

البقية فى العدد القادم